(٩)

والانقلاب حتى على المسيحية والرهبنة ..!!

إذن . . فنحن ـ بعد هذه الإشارات إلى :

* مخطط الفتنة الطائفية . . وجذورها منذ مطلع العصر الحديث . . وفى ظل الغواية الاستعمارية . .

* وبعض وقائع أحداث تلك الفتنة . . فى طورها الذى صاحب قيام الإحياء اليهودى الصهيونى . .

* والفكر العنصرى المنظر لهذه الفتنة ـ

واجدون أنفسنا ـ بعد هذه الإشارات ـ أمام انقلاب ، ليس على هوية بلادنا ـ الوطنية . والقومية . . والحضارية ـ فحسب . . بل أمام انقلاب طال ـ كذلك ـ طبيعة المسيحية ذاتها ، ، طبيعة الرسالة التاريخية لكنيستها ـ كما عرفتها الدنيا وتعارفت عليها عبر التاريخ . .

ولقد سبقت إشارتنا إلى دور مجلس الكنائس العالمى ـ الذى أقامته المخابرات المركزية الأمريكية ـ عقب الحرب العالمية الثانية ـ فى نفس العام الذى أقيم فيه الكيان الصهيونى على أرض فلسطين ـ دوره فى إحداث هذا الانقلاب فى طبيعة نشاط الكنائس وآفاق رسالتها . . وكيف جعل لهذه الكنائس ـ فى بلاد الجنوب . . وخارج المعسكر الإمبريالى الغربى ـ مهام دنيوية ـ سياسية واجتماعية واقتصادية ـ ليستخدمها فى تحقيق مقاصد أمريكا الإمبريالية فى الحرب الباردة ، وفى السيطرة على العالم ، ووراثة الإمبراطوريات الاستعمارية القديمة . .

فهذه الديانة المسيحية، التى تدع ما لقيصر لقيصر، وتكتفى بمالله . . والتى جعلت رسالة كنيستها ـ «خلاص الروح ومملكة السماء» ـ لأن مملكة المسيح عليه السلام ـ كما جاء فى الإنجيل ـ ليست فى هذا العالم . . هذه المسيحية قد انقلبت ـ فى عرف هذا التيار الطائفى العنصرى الانعزالى ـ إلى اغتصاب ما لقيصر . . وإلى جعل الكنيسة حزبًا سياسيًا ودولة داخل الدولة . . وأحيانًا فوق الدولة . . ومتصادمة مع الدولة! ـ الأمر الذى أدى إلى المواجهات المتوترة بين هذه الكنيسة وبين الدولة، لأول مرة فى تاريخ علاقة هذه الكنيسة بالدولة .

ولقد صدرت أحكام قضائية ـ من أرفع مستويات القضاء المصرى ـ مجلس الدولة ـ تدين هذا الانقلاب الذى أحدثته هذه الفئة الطائفية فى رسالة الكنيسة ومسيحيتها . . فجاء فى حيثيات الحكم بالقضية رقم ٩٣٤ لسنة ٣٦ قضائية ـ بتاريخ ١٢ ـ ٤ ـ ١٩٨٣ :

« . . وقد صور الطموح السياسى لقيادة الكنيسة أن تقيم الكنيسة من نفسها دولة داخل الدولة، تستأثر بأمور المسيحيين الدنيوية، وخرجوا بالكنيسة عن دورها السامى الذى حدده لها المسيح عليه السلام فى قوله: رد ما لقيصر لقيصر ومالله لله . .

كما سعى رأس الكنيسة إلى إثارة شعور الأقباط لحشدهم حوله، واستغل ذلك فى الضغط على سلطات الدولة . .

واستعدى الرأى العام العالمى على الحكومة المصرية، وأضر بسمعة البلاد . . وليس من شك فى أن هذه التصرفات كلها تنطوى على تحدٍّ لسطة الدولة»![1] .

هكذا صدر حكم القضاء ـ وهو عنوان الحقيقة ـ بإدانة هذا الانقلاب الذى أحدثته الطائفية العنصرية الانعزالية فى طبيعة المسيحية ورسالة كنيستها . .

* ولقد تبع هذا الانقلاب ـ الذى سجلته حيثيات حكم مجلس الدولة ـ على رسالة الكنيسة ـ ومن ثم طبيعة المسيحية ـ انقلاب آخر أحدثه هذا التيار الطائفى العنصرى الانعزالى على طبيعة «الرهبنة» ـ التى مثلت، دينيًا وتاريخيًا: **«الموت عن هذا العالم»** حيث يغير الراهب اسمه، ويتخلى عن أهله وذويه وكل العلائق التى تربطه بالدنيا

(١) انظر نص حيثيات هذا الحكم فى: د. محمد مورو [يا أقباط مصر انتبهوا] ص ٢٢٠ ـ ٢٥٥ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٨م. وفى كتابنا [فى المسألة القبطية حقائق وأوهام] ص ١١٧ ـ ١٤٧ طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٣م.

ليستخلص روحه وجسده للتوحد مع المجاهدات الروحية، والفناء فيما وراء هذا العالم.. يصنع ذلك فى دير أو مغارة ـ «قلاية ـ صومعة» منقطعة الصلات بالدنيا وشواغلها..

حدث الانقلاب على هذه الطبيعة ـ الدينية.. التاريخية ـ المستقرة لمعنى «الرهبنة» ووظيفتها فى المسيحية.. فتحولت الأديرة المصرية إلى مؤسسات إنتاج إقطاعية.. وتحول الرهبان إلى السعى ـ صباح مساء ـ للاستيلاء على الأراضى المجاورة للأديرة وضمها إلى إقطاعيات هذه الأديرة.. بل وخوض النزاعات المسلحة لتحقيق هذه المقاصد الإقطاعية!!..

ويكفى للتمثيل على هذا الانقلاب ـ فى معنى الرهبة ورسالتها ـ وفى وظيفة الرهبان ـ أن نشير إلى النزاع المسلح الذى تفجر فى ٢٩ مايو سنة ٢٠٠٨م بين رهبان «دير أبو فانا» ـ بملوى ـ محافظة المنيا ـ بصعيد مصر ـ وبين أهالى «قصر هور»، بسبب الاستيلاء على المساحات الشاسعة من الأرض المحيطة بالدير.. وكيف أن الرهبان كانوا يذهبون فيقيمون «قلاية» ـ صومعة ـ على بعد أكثر من ثلاثة كليومترات من الدير، ثم يعمدون ـ بعد ذلك ـ لضم «القلاية» والمساحات الفاصلة بينها وبين الدير إلى إقطاعية هذا الدير!!.. الأمر الذى فجر نزاعًا مسلحًا له ضحاياه.. وتحركت له مظاهرات أقباط المهجر، متحالفة مع الدوائر الصهيونية، ودوائر اليمين الدينى الأمريكى، والمسيحية الصهيونية، وساعية لاستصدار قرار من الكونجرس الأمريكى بإدانة مصر، وفرض العقوبات الأمريكية عليها!!.. ولقد شارك فى هذه المظاهرات ـ ولأول مرة ـ رجال الكهنوت.. أى رئاسة الكنيسة؟!!.

كل ذلك، دفاعًا عن الانقلاب الذى حدث فى معنى الرهبنة ورسالتها، وفى وظيفة الرهبان، الذين تركوا مملكة السماء، وحمل بعضهم السلاح للاستيلاء على الأراضى وضمها إلى إقطاعيات الدير!..

وحتى يعرف القارئ ـ المسيحى قبل المسلم ـ عمق هذا الانقلاب الذى حدث للرهبنة، وفيها، وعليها، يكفى أن نقدم سطورًا نشرتها صحيفة (وطنى) ـ الأرثوذكسية ـ عن رهبة الراهب «أبوفانا» ـ صاحب الدير الذى تفجرت فيه أحداث مايو سنة ٢٠٠٨م ـ ليرى القارئ ـ المسيحى قبل المسلم ـ الفارق بين مسيحية ورهبنة الراهب «أبوفانا» وبين مسيحية ورهبنة الرهبان الذين فجروا هذه الأحداث فى الدير الذى يحمل اسمه.

لقد تحدثت صحيفة (وطنى) عن الراهب ـ القديس ـ «أبوفانا» [٣٥٥ ـ ٤١٥م] وكيف:

«أضنى جسده بالصوم الكثير، وتدرج فى صوم الانقطاع حتى صار يصوم فى الشتاء يومين يومين، وفى الصيف كان يتناول القليل من الخبز والماء والبلح الجاف عشية كل يوم. وكان دائم الوقوف على رجليه حتى تورمت قدماه، والتصق جسده بعظمه من شدة النسك فصار مثل خشبة محروقة. وكان كلما غلبه النعاس ينام وهو يستند متكئًا بصدره على جدار أقامه خصيصًا لذلك، أو يجلس على الأرض ويستند إلى الحائط، أو يضع رأسه على درجة.

فظل هكذا ثمانية عشر عام حتى اعتراه المرض من شدة النسك، فأتاه السيد المسيح ليدعوه ليتم جهاده المثمر، ويكشف له يوم نياحته ـ [موته] ـ فأحضر تلاميذه، وأخبرهم، وأشار بعمل قداس، وظل واقفًا طوال القداس والدود يتساقط من قدميه.. ثم تنيح ـ [مات] ـ بسلام..

ودفنوه بإكرام عظيم فى ديره الموجود بالجبل الغربى ـ قصرهور ـ ملوى..»[1].

* * *

هكذا كانت المسيحية، عبر تاريخها، وهكذا كانت «الرهبنة» والرهبانية والرهبان ـ عبر التاريخ..

وهكذا تم الانقلاب على كل ذلك، تحت قيادة تيار الطائفية العنصرية الانعزالية، فى الواقع المعاصر الذى نعيش فيه!..

ولقد تمت كل هذه الانقلابات فى ظل المخطط الإمبريالى الأمريكى لتفجير وتفتيت مصر ووطن العروبة وعالم الإسلام، من خلال اللعب «بورقة الأقليات»!.

* * *

(١) صحيفة (وطنى) فى ٣ ـ ٨ ـ ٢٠٠٨م.

(١٠)

أصوات العقلاء والحكماء

وإذا كانت هذه إشارات ـ مجرد إشارات ـ لمعالم هذا الانقلاب الطائفى العنصرى الانعزالى، الذى تبلور تياره فى أوساط النخبة الأرثوذكسية عقب الحرب العالمية الثانية.. فى ظلال ـ وبالموازاة مع ـ نزعات الطائفية والعنصرية التى انتعشت بعد النجاح فى إقامة الكيان الصهيونى على أرض فلسطين.. فإننا لا نبالغ إذا قلنا: **إننا بإزاء انقلاب طائفى.. تقوده الكنيسة الأرثوذكسية على مقومات الهوية الوطنية والقومية والحضارية لمصر.. وعلى تاريخها.. ورسالتها التى حملتها وتحملها إلى العالمين.. وأمام «حلم مجنون» بإعادة عقارب الساعة إلى ما قبل أربعة عشر قرنًا.. وذلك طمعًا فى تكرار ما حدث على أرض فلسطين بأرض الكنانة!..**

إننا أمام أقلية دينية، لا تتجاوز نسبتها ٨, ٥٪ من السكان.. يقودها تيار طائفى عنصرى انعزالى يسعى إلى إدارة عقارب التاريخ والجغرافيا والهوية إلى الوراء، فى انسجام تام مع مخطط التفتيت والفوضى الخلاقة الذى ترعاه الإمبريالية الأمريكية والعنصرية الصهيونية والصليبية العالمية.. غير عابئ بالأغلبية المسلمة.. بل ولا حتى بقطاعات من عقلاء المسيحيين المصريين الذين يرفضون الانخراط فى هذا الاتجاه..

***

* وكما سلطنا الأضواء على المخطط «الإمبريالى.. الصليبى.. الصهيونى «لإعادة تفتيت وشرذمة العالم الإسلامى ـ بما فيه مصر.. بل وخاصة مصر ـ بواسطة الأقليات الدينية والقومية والمذهبية.. وسلطنا الضوء ـ كذلك ـ على الشرائح التى سقطت فى مستنقع الخيانة الذى رسمه هذا المخطط.. فإننا ـ إعمالاً للمنهج القرآنى: ﴿ليسوا سواء﴾ ـ قد سلطنا الضوء على مواقف العقل والحكمة والوطنية التى عبرت عنها

أصوات رموز دينية ومدنية بين هذه الأقليات . . أولئك الذين أعلنوا أن هذه الأقليات هى جزء أصيل من النسيج الوطنى والقومى والحضارى للأمة العربية الإسلامية . . وأن مشكلاتهم هى مشكلات الأمة . . وطموحاتهم هى طموحات الأمة . . ومصيرهم لا ينفصل عن مصير الأمة . . وأمنهم وأمانهم فى مشروع الأمة الحضارى والنهضوى . .

نعم . . لقد سلطنا الأضواء على مواقف هؤلاء العقلاء الحكماء . . الذين قالوا ـ بلسان الأنبا موسى ـ أسقف الشباب بالكنيسة الأرثوذكسية ـ :

«نحن، كأقباط، لا نشعر أننا أقلية، لأنه ليس بيننا وبين إخواننا المسلمين فرق عرقى «إثنى»، لأننا مصريون، وأتجاسر وأقول: كلنا أقباط، بمعنى أنه يجرى فينا دم واحد من أيام الفراعنة، ووحدة المسألة العرقية تجعلنا متحدين مهما اختلفنا.

هناك ـ طبعًا ـ التمايز الدينى، لكن يظل الأقوى والأوضح الوحدة العرقية. ولا نشعر، نحن الأقباط، بشعور الأقلية البغيض الذى يعانى منه غيرنا. . نحن أقلية عددية فقط، ولكن هذا لا يجعلنا نشعر أن هناك شرخًا بيننا وبين إخواننا المسلمين.

من جهة الهوية العربية، نحن مصريون، عرقًا، لكن الثقافة الإسلامية هى السائدة الآن، كانت الثقافة القبطية هى السائدة قبل دخول الإسلام، وأى قبطى يحمل فى الكثير من حديثه تعبيرات إسلامية، يتحدث بها ببساطة ودون شعور بأنها دخيلة، بل هى جزء من مكوناته.

نحن نحيا العربية لأنها هويتنا الثقافية، ومقتنعون بالطبع بأن فكرة العروبة فكرة سياسية واقتصادية وثقافية، بالإضافة لوحدة المصير المشترك. . والعلاقة بين الجذور والعروبة علاقة تناصرية. . هذه دوائر متداخلة. .

ومصر دائمًا دولة مسلمة ومتدينة، ولكن بدون تطرف، ولو عشنا، كمسلمين وأقباط، وفى إطار الصحوة الدينية المصحوبة بصحوة وطنية فسيكون المستقبل أكثر من مشرق.

نحن، فى مصر، نسيج واحد، وسعداء بذلك، وهذه حماية استراتيجية لنا كأقباط.

ونحن نرفض المسيحية السياسية، لأن المسيح قال: «مملكتى ليست بالعالم». . ولو حدثت المسيحية السياسية تصبح انتكاسة على المسيحية. .

وتقسيم مصر فكرة مستحيلة، وغير مسيحية، ولو فكرنا فى ذلك معناه أننا نجهز أنفسنا للإبادة. . إنها فكرة غبية. . فكرة صهيونية من أجل تفتيت مصر. .»[1].

هكذا تحدث صوت العقل والحكمة، على لسان الأنبا موسى، من داخل الكنيسة الأرثوذكسية.

* ومن داخل الكنيسة الكاثوليكية. . تحدث صوت العقل والحكمة، على لسان الأنبا يوحنا قلته، نائب البطرك الكاثوليكى فى مصر. . فقال:

«أوافق تمامًا على أن أكون مصريًا. . مسيحيًا، تحت حضارة إسلامية.

أنا مسلم ثقافة مائة فى المائة. .

أنا عضو فى الحضارة الإسلامية كما تعلمتها فى الجامعة المصرية. . تعلمت أن النبى ﷺ سمح لمسيحىٍّ اليمن أن يصلوا صلاة الفصح فى مسجد المدينة. . فإذا كانت الحضارة الإسلامية بهذه الصورة. . التى تجعل الدولة الإسلامية تحارب لتحرير الأسير المسيحى. . والتى تعلى من قيمة الإنسان كخليفة عن الله فى الأرض. . فكلنا مسلمون حضارة وثقافة. .

وإنه ليشرفنى، وأفخر أننى مسيحى عربى، أعيش فى حضارة إسلامية. . وفى بلد إسلامى وأساهم وأبنى، مع جميع المواطنين، هذه الحضارة الرائعة. .»[2].

* وغير أصوات العقل والحكمة عند بعض رجال الكهنوت. . وجدنا هذه المواقف العاقلة والحكيمة بين عقلاد المسيحيين العلمانيين ـ أى غير الأكليروس.

---

(١) د. سعد الدين إبراهيم [الملل والنحل والأعراق] ص ٥٢٩ ـ ٥٣٤.

(٢) الأنبا يوحنا قلته: من حوار دار عقب محاضرة لى ـ فى جمهور من النخبة المسيحية، الممثلة لمختلف الطوائف ـ دعت إليها «اللجنة المصرية للعدالة والسلام» ـ عنوانها: «أثر البعد الدينى فى الاشتراك فى العمل العام»، بفندق الحرية ـ بمصر الجديدة ـ بتاريخ ٩ نوفمبر سنة ١٩٩١م ـ انظر كتابنا [الإسلام والسياسة ـ الرد على شبهات العلمانيين] ص ١٣٦ طبعة مكتبة الشروق الدولية ـ القاهرة سنة ٢٠٠٨م.

فالدكتور غالى شكرى [١٩٣٥ ـ ١٩٩٨م] يكتب فيقول:

«إن الحضارة الإسلامية هى الانتماء الأساسى لأقباط مصر.. وعلى الشباب القبطى أن يدرك جيداً أن هذه الحضارة العربية الإسلامية هى حضارته الأساسية.. إنها الانتماء الأساسى لكافة المواطنين.

صحيح أن لدينا حضارات عديدة من الفرعونية إلى اليوم، ولكن الحضارة العربية الإسلامية قد ورثت كل ما سبقها من حضارات، وأصبحت هى الانتماء الأساسى، والذى بدونه يصبح المواطن فى ضياع..

إننا ننتمى ـ كعرب من مصر ـ إلى الإسلام الحضارى والثقافى، وبدون هذا الانتماء نصبح فى ضياع مطلق.. وهذا الانتماء لا يتعارض مطلقًا مع العقيدة الدينية.. بالعكس.. لماذا؟ لأن الإسلام وحد العرب، وكان عاملاً توحيديًا للشعوب والقبائل والمذاهب والعقائد..»[1].

* ونفس الموقف العاقل والحكيم ـ والعميق ـ نجده عند المفكر الحضارى الدكتور أنور عبد الملك.. الذى كتب يقول:

«إن أى إنسان عاقل يدرك أن مصر هى أقدم أمة وحضارة فى التاريخ قاطبة.

ومنذ الفتح العربى الإسلامى دخلنا بالتدريج فى إطار دائرة أسميناها ـ منذ خمسين عامًا ـ الدائرة العربية، ولكنها فى الواقع هى دائرة الحضارة الإسلامية، التى تتمركز حول مبدأ واحد هو «التوحيد»، الذى يتفق بشكل مطلق مع خصوصية مصر. فالحياة العامة فى مصر بها قبول بالسليقة للتوحيد، ناتج من وحدة الأمة المصرية منذ ما يزيد على ثلاثة آلاف سنة، وبالتالى فالإطار الحضارى للإسلام يشمل المرحلة القبطية «أى المسيحية المصرية»، كما أن لغتنا هى العربية، لغة القرآن»[2].

* ونفس الموقف العاقل والحكيم ـ والعميق ـ نجده عند المفكر الحضارى والمناضل السياسى الدكتور رؤوف نظمى ـ [محجوب عمر] ـ الذى قال عن المرجعية الإسلامية الواحدة، والموحدة، لكل الأمة:

(١) صحيفة [الوفد] عدد ٢٨ رجب سنة ١٤١٣هـ ـ ٢١ يناير سنة ١٩٩٣م.
(٢) صحيفة [أخبار الأدب] فى ٣٠ ـ ٤ ـ ٢٠٠٠م.

«الأمة مرجعيتها واحدة، وهى الإسلام، بماله من تراث وعقائد وأصول..

والأساس هو أن يكون للأمة مرجعية واحدة، فإذا كانت الأمة إسلامية فمرجعيتها الإسلام، وإذا كانت كونفوشيوسية، فمرجعيتها الكونفوشيوسية..

إن أغلبية الأمة مسلمون، والمطلوب هو توجيه الجهود للعمل مع الأغلبية التى لا تزال على مرجعيتها التاريخية، على تراثها الحضارى، وعلى عقيدتها..

نحن لدينا دستور يقول: إن دين الدولة هو الإسلام، وكافة مواد القانون تكون فى حدود الشريعة، والمطلوب فقط ترويج هذا الفهم لإطلاق طاقات الإبداع فى المشروع الحضارى..

إذا كانت المرجعية الإسلامية هى مرجعية الجميع، تنتهى المشكلة. فالمطلوب أن يكون مشروعنا حضاريًا، من حضارتنا، وحضارتنا إسلامية، فالمطلوب أن يكون الإسلام هو المرجعية العامة للجميع»[1].

* ونفس الموقف العاقل والحكيم نجده واضحًا وحاسمًا عند الكاتب صادق عزيز.. الذى قال:

«إن مصر دولة إسلامية منذ دخلها الإسلام، ويومها كان المسلمون هم الأقلية، وكان الأقباط هم الأغلبية، ومع ذلك كانت إسلامية. بل إن مصر فى تاريخها لم تكن دولة «قبطية» حتى من قبل الإسلام، فهى تقع دائمًا تحت الحكم الرومانى أو البيزنطى أو المقدونى، أما الحكم القبطى فلم نسمع عنه أبدًا.. وفيما عدا الأحوال الشخصية فإن أحكام الشريعة الإسلامية لا تتعارض إطلاقًا مع المسيحية، وذلك لعدة أسباب أهمها:

١ ـ أنه إذا كانت الدولة إسلامية، فالقوانين الوضعية يجب أن تكون إسلامية، وعلينا قبول ذلك، بل والترحيب به، عملاً بقول المسيح: «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله».

٢ ـ أن أحكام الشريعة الإسلامية تنطبق فى كثير جدًا من الأحوال مع شريعة العهد القديم، وهى ما جاء المسيح لا لينقضها.. بل ليكملها..

(١) مجلة [منبر الحوار] عدد خريف سنة ١٩٨٩م ـ ص ٤١، ٤٢ ـ بيروت.

٣ـ أن المسيحية لم تأت بأحكام وقوانين وضعية، عملاً بقوله ـ [المسيح] ـ: «مملكتى ليست فى هذا العالم»، ومن ثم ترك للحكام أو لقيصر وضع الأحكام الأرضية، وأمرنا بأن نعطى ما للحكام للحكام. . »(١).

فمصر دولة إسلامية. . مرجعَيتها الإسلام، منذ دخلها الإسلام قبل أربعة عشر قرنًا. . ولم تكن دولة قبطية حتى قبل دخول الإسلام إليها، لأن المسيحية ليست دولة، ومملكة المسيح ليست فى هذا العالم. . والعروبة هى الهوية الثقافية والقومية لمصر. .

وليس فى مصر مشكلة «عرقية - إثنية»، لأن شعبها نسيج عرقى ووطنى واحد: مصريون أسلموا ـ هم الأغلبية الساحقة ـ ومصريون ظلوا مسيحيين ـ وهم الأقلية فى الدين فقط. . أى فى الاعتقاد، أما فى منظومة القيم والأخلاق والثقافة فالجميع مسلمون حضاريًا. .

والمسيحية. . السياسية تعنى «تجهيز المسيحيين للإبادة»!. .

***

هذا هو موقف العقلاء الحكماء ـ من المسيحيين المصريين ـ من رجال الكهنوت ومن العلمانيين ـ :

لكن السؤال ـ المطروح اليوم ـ وأمام تصاعد النزعة الطائفية العنصرية الانعزالية التى تقودها الكنيسة ـ أين موقف هؤلاء العقلاء الحكماء؟!. . ولماذا الصمت على هذا المشروع الطائفى، الذى «يجهز المسيحيين للإبادة» ـ كما قال الأنبا موسى؟!. .

نحن نعلم درجة القمع التى يمارسها الكاهن الأكبر إزاء المعارضين لسلطاته المستبدة. . ونعلم تأثير سلاح «الحرمان الدينى» الذى استخدمه ويستخدمه بإسراف غير مسبوق ضد من تحدثه نفسه بالخروج على هذه النزعة الطائفية التى دفع الأقباط فى مستنقعها. .

لكن. . ومع أخذ كل ذلك فى الاعتبار. . فإن القضية قضية وطن وأمة وحضارة ومصير ـ ولابد من موقف واضح وشجاع ومعلن لإنقاذ الأقباط وكنيستهم من هذا المنزلق الخطير الذى يوشكون على التردى فيه!. .

---

(١) جمال بدوى [الفتنة الطائفية: جذورها وأسبابها. دراسة تاريخية ورؤية تحليلية] ص ١٣٧ ـ ١٤١ ـ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٢م.

وإذا كنا قد أشرنا إلى مقتطفات من كتابات العقلاء والحكماء . . الذين دعوا إلى وقوف الكنيسة عند رسالتها الدينية والروحية ـ التاريخية ـ التى عينها لها المسيح عليه السلام . . أى الوقوف عند خلاص الروح وتوبة الخطاة . . فلابد من الإشارة إلى رأس هؤلاء العقلاء الحكماء، وأنجب من أفرزه اللاهوت الأرثوذكسى المعاصر : الأب متى المسكين [١٩١٩ ـ ٢٠٠٦م] الذى مثل القيادة الحكيمة للتيار اللاهوتى الداعى إلى وقوف الكنيسة عند ماالله . وترك ما لقيصر والدولة والمجتمع والسلطان . . والذى كتب فى هذا الموضوع الكتب والدراسات والمقالات النفيسة . . والذى تعرض ـ هو وأتباعه ـ للحصار والاضطهاد ـ بل والتكفير والحرمان الدينى ! ـ من تيار الطائفية العنصرية الذى اختطف الكنيسة الأرثوذكسية منذ سبعينيات القرن العشرين . .

وإذا شئنا أن نقدم نماذج من كتابات هذا الحبر العظيم ـ الأب متى المسكين ـ حول الرسالة الحقيقية للكنيسة، فإننا نقدم هذه السطور التى قال فيها :

«إن الخطيئة هى مدخل المسيحية إلى الإنسان . . وإن المسيح لم يهتم أبدًا كيف يرتب حياة الخاطئ لـمَّا يتوب، أو يشرع قوانين مدنية . . المسيح لم يعد الخطاة التائبين بشىء من ملك هذا العالم، بل ثبت قلب التائب نحو ملك السماء . . ملكوت الله ليس ملكوتًا زمنيًا، فلا تترقب مجيئه عبر الزمان . .

لم يجمع السيد قط ولم يخلط أبدا بين مملكة الله ومملكة هذا الدهر . نقرأ عنه أنه «لما أرادوا أن يختطفوه ويجعلوه ملكًا، انصرف وحده» ـ يوحنا ٦ : ١٥ ـ .

التوبة شغل الكنيسة الشاغل لأنها رسالتها . . فإذا رفعنا المناداة بالتوبة من الكنيسة لا يتبقى لها عمل آخر . . وخارجًا عن التوبة لا يوجد عمل ولا خدمة داخل الكنيسة وخارجها . .

ومحاولة الكنيسة الاهتمام بالأمور الزمنية باسم المسيح هو بمثابة تنصيب المسيح ملكًا على الأرض .

ومحاولة تقوية سلطان الكنيسة الزمنى والمطالبة بحقوق للجماعة هو رجعة لإقامة مُلك المسيًا كما يحلم به اليهود . .

إن أخطر عدو يهدد كيان المسيحية بالانحلال هو أن يهتم الكارزون فى الكنيسة بموضوع آخر غير «خطيئة الإنسان»، فيتركوا عنهم دعوة المسيح للخطاة التى كانت مهمته الأولى والعظمى، وينشغلوا بالإنسان من جهة حياته الاجتماعية. هذا ليس خروجًا عن المسيحية فحسب، ولكنه مقاومة..

إن المسيحية تتعرض فى هذه الأيام لنفس المحنة [التى تعرضت لها على أيدى الفريسيين] ـ والكنيسة تواجه نفس الضربة، لأن بعض الكارزين يحاولون الآن الخروج بالمسيحية عن موضوعها، بسبب انعدام قدرتهم على الكرازة بالتوبة لتجديد الإنسان وخلاصه، وإن الخسارة التى ستجنيها الكنيسة من جراء ضم مواضيع جديدة للكرازة سوف تنتهى أخيرًا بانطفاء سراج المناداة بالتوبة لخلاص الخطاة الذى ظل ينير الكنيسة ويضم لها كل يوم الذين يخلصون. الأمر الذى كان يخشاه بولس الرسول، والذى من أجله حارب وحوشًا فى أفسس، وجاهد وغلب، ثم تركه وديعة لتلميذه تيموثاوس ليحارب حروب الرب من أجله أيضا، ويسلمه تراثًا أبديًا للكنيسة..

ولكن الكارزين فى هذه الأيام فقدوا الطريق الموصل لقلب الإنسان، فأخذوا يدورون حوله إلى ما لا نهاية.

والمفتاح المقدس الذى سلمه الرب للكنيسة ليدخلوا إلى قلب الخطاة ضاع. والمفتاح كان المناداة بالتوبة..

لقد يئس الخاطئ، وتبلدت نفسه، وكرهت روحه الحق.

إن المفتاح الكبير الذى سلمه الرب للكنيسة لتفتح به ملكوت السموات للخطاة، أينما شاءت وكفيما شاءت، فقدته. لقد ضاع المفتاح الكبير لما انشغلت الكنيسة بأموال الدنيا وأملاك العالم، وتلاهت عن خلاص الخطاة.

نعم، لا يستطيع الإنسان أن يعبد ربين، ولا أن يخدم سيدين..

إن أى محاولة للجمع بين ملكوت الله، كهدف اختصاص المسيحية، مع أهداف أخرى، مثل المطالبة بحقوق خاصة للكنيسة للاشتراك فى الحكم أو فى إدارة سياسة الدولة، أو المطالبة بحقوق خاصة لتملك شىء من أمجاد هذه الدنيا، أو السعى ليكون للكنيسة شىء من النفوذ أو السيادة، هذه المحاولة معناها الخروج عن هدف الاختصاص فى المسيحية، الذى هو ملكوت الله..

كذلك كل محاولة لاستخدام السلطان، سواء كان سلطان الدين أو السلطان الزمنى، أو استخدام التهديد والوعيد، أو استخدام العقوبة أو المقاطعة لإجبار الخاطىء على التوبة، يعتبر هذا كله عمل اغتصاب وسلبًا لمشيئات الناس واستعبادهم باسم الدين والكنيسة..

وسيان، من حيث الخطورة والدوافع المنحرفة، أن تطلب الكنيسة القوة من السلطان الزمنى، أو تحض على الاستهتار بقوة السلطان الزمنى، لأن فى الأول خروجًا عن اختصاص الكنيسة، وفقدانًا لمصدر قوتها الروحية ـ كما أثبتنا ـ.. وفى الثانية خروجًا على المنطق المسيحى ووصية الإنجيل، ووقوعًا فى دينونة الله، لأن الكتاب يقول: «المقاومون (للسلطان) يأخذون لأنفسهم دينونة» ـ رومية ١٣: ٢ ـ..

وعلى الكنيسة أن تدع المواطن المسيحى يتحرك بحرية فى كل الاتجاهات كما يشاء، وكما تمليه عليه تربيته ونشأته وثقافته، ويتحمل هو تبعة تحركه. وتظل الكنيسة فوق كل هذه التحركات جميعًا، تعمل فى اختصاصها لخلاص نفسه وإهداء أقدامه فى طريق ملكوت الله..

ويشهد التاريخ ويروى أنه كلما خرجت الكنيسة عن اختصاصات مسيحها، وبدأت تنزح إلى السلطان الزمنى، وتجيش الجيوش باسم الصليب، وزاغت وراء أموال الأغنياء، وارتمت فى أحضان أصحاب النفوذ، وحاولت محاولات جدية وعنيفة للجمع بين السلطان الدينى والسلطان الزمنى، ودأبت على المطالبة بحقوق عنصرية وطائفية، فشلت المسيحية فى تأدية رسالتها، ودب فيها الخصام والنزاع والوهن، وفقدت شكل مسيحها كمنادية بالتوبة، وضاع منها الخروف الضال.

ولما انشغلت بأمجاد الدنيا قُفل فى وجهها باب الملكوت، وصارت فى حاجة إلى من ينتشلها من ورطتها، ويردها إلى حدود اختصاصاتها الأولى..»[1].

***

هكذا تحدث رأس العقلاد وحكيم الحكماء ـ الأب متى المسكين ـ عن رسالة الكنيسة ـ كما حددها لها المسيح عليه السلام ـ..

(١) الأب متى المسكين [مقالات بين السياسة والدين] ص ٧ ـ ١٣، ١٨، ٢٧، ٣٨ ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٧٧م. والطبعة الثانية ـ سنة ١٩٨٠م ـ دار مجلة مرقس ـ مطبعة دير القديس أنبا مقار.

كما تحدث عن الانقلاب على هذه الرسالة، والمطالبة **«بحقوق عنصرية وطائفية»**، على النحو الذى أفقد الكنيسة طبيعتها، وخرج بها عن اختصاصاتها الأولى..

وحذر من عاقبة هذا الانقلاب: **«فشل المسيحية فى تأدية رسالتها»..**

نعم.. هكذا تحدث الأب متى المسكين عن الكنيسة ورسالتها.. وعن محاولات الانقلاب على هذه الرسالة.. وظل رافعًا لريات النصح والإرشاد، دونما رهبة من الحيف الذى أصابه جزاء كلمة الحق التى أعلنها ودافع عنها هو وتياره اللاهوتى ـ فى دير القديس أنبا مقار ـ ببرية شيهيت ـ..

فكان ـ ولا يزال ـ النموذج للقائد الروحى.. والابن البار للكنيسة الوطنية المصرية.. الذى لم يستبدل بمسحيتها المسيحية الأمريكية لمجلس الكنائس العالمى ـ كما صنع الآخرون ـ الذين سقطوا فى مستنقع الطائفية العنصرية!..

لقد أدان «انشغال الكنيسة بأمجاد الدنيا.. ولهاثها وراء أموال الأغنياء ـ فضلاً عن تمويل الأعداء!!ـ.. ومحاولات «الجمع بين السلطان الدينى والسلطان الزمنى».. والعمل على «الاستهتار بقوة السلطان الزمنى».. وأساليب «التهديد والوعيد».. والسعى «للمطالبة بحقوق خاصة للكنيسة للاشتراك فى الحكم أو فى إدارة سياسة الدولة.. أو تملك شىء من أمجاد هذه الدنيا..»..

ولقد وضع هذا الحبر العظيم ـ الأب متى المسكين ـ بهذه الكلمات التى استشهدنا بها ـ الدستور الذى ساد توجهات الكنيسة الشرقية تاريخيًا.. والذى انقلب عليه التيار الطائفى العنصرى، الذى اختطف قيادة الكنيسة الأرثوذكسية منذ ١٤ نوفمبر سنة ١٩٧١م.

***

وبعد، فلقد اتخذتُ ـ فى المشروع الفكرى الذى توفرت عليه ـ هذا الموقف المتوازن والحاسم من هذه القضية الخطيرة.. والحساسة.. والشائكة.. التى توضع مخططاتها الاستعمارية الآن فى واقع الممارسة والتطبيق، على امتداد وطن العروبة وعالم الإسلام..

* فالأحزاب العلمانية الكردية، التى تحكم فى شمالى العراق.. والتى تشكو من تجزئة القومية الكردية بين أربع دول عربية وإسلامية ـ **العراق.. وسوريا.. وتركيا..**

وإيران ـ تتجاهل أن القومية العربية قد جزئت بين أكثر من عشرين دولة . . وتنكص ـ هذه الأحزاب ـ عن «الحل الإسلامى»، الذى يجمع كل القوميات الإسلامية فى إطار جامعة الإسلام، متيحًا لكل هذه القوميات إحياء خصوصياتها القومية فى إطار جامعة الحضارة الإسلامية وتكامل دار الإسلام ـ كما كان الحال فى التاريخ الإسلامى، قبل «فتنة التفتيت والتعصب القومى» ـ . . .

لقد نكصت هذه الأحزاب العلمانية الكردية ـ التى أقامت العلاقات مع الكيان الصهيونى منذ ستينيات القرن العشرين، على يد الملا مصطفى البرزانى [١٩٠٣ ـ ١٩٧٩م] . . لقد نكصت على أعقابها، عندما حكمت تحت حماية الإمبريالية الأمريكية، وبدعم الصهيونية العالمية، حتى عن لغة القرآن الكريم ـ التى سبق وخدمها الأكراد عبر تاريخهم الإسلامى المشرق ـ فتخرجت وتتخرج من مدارسهم وجامعاتهم عشرات الألوف الذين لم يدرسوا حرفًا واحدًا من لغة القرآن الكريم!! . .

كما تحالفت ـ هذه الأحزاب الكردية العلمانية ـ مع الإمبريالية الأمريكية والصهيونية فى مخطط العنصرية والتفتيت . .

* وعلى جبهة التشيع الصفوى ـ الفارسى . . هناك الذين جاءوا إلى العراق على ظهور الدبابات الأمريكية الغازية سنة ٢٠٠٣م . . ليفتتوا العراق ـ باسم الفيدرالية ـ وليبيعوا ثرواته النفطية واستقلاله الوطنى وحرمات ترابه العربى للإمبريالية الأمريكية لقاء الاستئثار بحكم العراق تحت حماية الأمريكان! . .

* وعلى الجبهة المغاربية . . تعمل الأكاديمية ا لأمازيفية ـ التى أقامتها فرنسا الاستعمارية بباريس ـ على إحياء اللغة الأمازيفية . . وصناعة أبجدية لها . . واختيار إحدى لهجاتها، لتكون بديلاً للعربية، يفضى إلى سيادة الفرنسية بين الأمازيغ!! . . ناكصين بذلك عن الحقيقة التاريخية والحضارية التى تقول: إن الأمازيغ هم الذين نشروا العربية والإسلام فى المغرب الكبير . . وأن العلماء ذوى الأصول الأمازيغية ـ ومنهم الإمام عبد الحميد بن باديس [١٣٠٧ ـ ١٣٥٩ هـ ١٨٨٩ ـ ١٩٤٠م] ـ هم الذين أعادوا الجزائر إلى أحضان العروبة والإسلام . . وهم الذين قادوا عملية التعريب فى مواجهة الفرنسة فى بلاد المغرب العربى الكبير . .

* وعلى الجبهة المارونية السياسية . . كلفت هذه المخططات لبنان حربًا أهلية دامية ومدمرة دامت خمسة عشر عامًا [١٩٧٥ ـ ١٩٩٠م] قبل أن تنتهى إلى وفاق هش بين الفرقاء الذين غلَّبوا الطائفية على الانتماء القومى والحضارى الذى يسع الجميع .

* أما على الجبهة المصرية . . حيث تركز الإمبريالية والصليبية والصهيونية على تفتيت كنانة الله فى أرضه . . فإن المعركة قائمة على قدم وساق . . وخاصة منذ انحياز قيادة الكنيسة الأرثوذكسية لهذا المخطط الطائفى العنصرى الانعزالى ، الذى يطمع إلى تغيير الخرائط . . والثوابت . . وهويات الحضارة والتاريخ ! . .

الأمر الذى يجعلنا نستنهض مواقف العقل والحكمة فى أوساط هذه الأقليات ، لمواجهة الخطر المحدق بالجميع ! .

* * *